مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (11) العدد (02) السنة (2024)
الصفحة 101-119

الرواية الجزائرية وطبيعة التفكير الجنسي رواية "اختلاط المواسم" لبشير مفتي أنموذجا

The Algerian novel and the nature of sexual thinking is the novel "The Mixing of Seasons" by Bashir Mufti as an example

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 11-11-2023
تاريخ القبول:2024-06-30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

د.سارة سكيو[1*]،
[1]جامعة باتنة1 (الجزائر)، sarah.sekkiou@univ-batna.dz

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى معالجة النمط التفكيري للشخصيات الرئيسية في رواية "اختلاط المواسم" لبشير مفتي إذ تدور احداث هذه الرواية في حقبة زمنية مهمة في التاريخ الجزائري، كان لها باع كبير في توجيه التفكير نحو الانفعالات الجنسية والميولات السادية الغير سوية، إذ سنعرج على أهمية المشاهد السردية التي تتعلق بليبيدية الطرح الوجودي عند شخصية "القاتل".

وعلى طبيعة التوجه الحسي العاطفي لدى شخصية "سميرة قطاش" موضحين ثلاثية العلاقة الجنسية التي عاشتها هذه الأخيرة؛ حيث استطاع الروائي صب الاهتمام على عدة قضايا واقعية انعكست تداعياتها على سلوك هاتين الشخصيتين.

الكلمات المفتاحية: الرواية، الجنس، السادية، الحب، القتل.

ABSTRACT

This study aims to address the thinking pattern of the main characters in the novel "Mixing of Seasons" by Bashir Mufti. The narrative that relates to the libidinal existential discourse of the "killer" character.

And the nature of the emotional sensual orientation of the character "Samira Qatash," explaining the triple sexual relationship experienced by the latter; Where the novelist was able to focus attention on several real issues whose repercussions were reflected on the behavior of these two personalities in particular.

Keywords:Novel, sex, sadism, love, murder

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

عرف المجال الإبداعي وخاصة الأدبي إقبالا كبيرا من لدن دارسيالأنثروبولوجيا والمحللين النفسين؛ ذلك أن الأجناس الأدبية وخاصة الخطاب الروائي، استطاع أن يحفظ بين متونه المشتركات الإنسانية كالمشاعر والدوافع ونحو ذلك، وخاصة التعبيرات الجنسية التي تصدر من قبل الشخصيات الروائية لأنها في العادة تكون خلاصة الأحداث الواقعية وتعبر عنها بكل جرأة، هذا الذي دفعنا إلى التساؤل عما إن كانت الرواية الجزائرية "خليط المواسم" لبشير مفتي قد استطاعت ان تعبر عن الطرح الجنسي لشخصياتها؟ وهل هذا الإقبال الايروسي سوي في حدود الأخلاق ام يتجاوزه؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اعتمدنا على المنهج الوصفي قصد وصف المشاهد المسرودة على لسان حال شخصية "القاتل" حتى نغوص أكثر في فلسفته التفكيرية الخاصة والشاذة حول موضوع القتل، وطرقه التعبيرية عن حاجاته الجنسية بين الضرورة والرغبة في المتعة واللذة.

2.التشظي الوجودي في الرواية الجزائرية

1.2البحث الليبيدي عندشخصية "القاتل":

صار سهلا في عصرنا المعاصر أن نستوعب مضمون الآثار الإبداعية التي تحوم حول مسألة الجنس والعلاقة الليبيدية التي تقود الأحداث والمشاهد الإيروسية التي تكون بين الرجل والمرأة، وقد استوعب الروائيون سواء عند الغرب وفي عالمنا العربي مدى اتساع وعاء الرقعة الأدبية في فن الروائية لطرح مثل هذه الأفكار الموجودة حقا في الواقع، إذ لا حاجة لتفعيل التخييلات البعيدة للتعبير عن الحاجات الجنسية التي لطالما حاول المبدعون اخفاءها في فنونه لعدة أسباب دينية واجتماعية وغير ذلك.

نجحت الروائية العربية في أن تنقل الخطاب السردي من المحلية إلى العالمية، عبر طرق باب الأفكار البشرية المشتركة والتي أشملها عموما هي الأفكار الجنسية التي لا مناص من ذكرها في معظم الروايات، وقد استطاع الروائي الجزائري بشير مفتي من خلال روايته "اختلاط المواسم" أن يفتح أعين المتلقي على حقيقة التفكير الجنسي في الواقع الاجتماعي الجزائري في فترة معينة، وان يظهره على شاكلته الحقيقية مقتحما بذلك الحدود الافتراضية للطابوهات المحرم ذكرها والتي أهمها هو الجنس وما يتعلق بتلك العلاقة الجسدية العاطفية التي تتولد بين الرجل والمرأة على العموم والخاص. فبالمختصر ترتكز المشاهد المسرودة في هذا الأثر الروائي حول فكرة القتل والتلذذ به، وكيف أن البطل المكنى بـ «القاتل" يستمتع بتلك الحالة النفسية السادية لديه والتي تنامت معه فترة طفولته، منذ أول لحظة جرب فيها تجربة القتل العمدي لقطة والدته.

ولابد من الانتباه لمنعرج مهم في حياة هذا القاتل، وهو إن ساديته ورغبته في القتل أساسها تفكيره الجنسي بالدرجة الأولى، ودليل ذلك هو وصفه لممارسة القتل وسفك الدماء بالانتشاء الذي لم يظفر مثله قبلا؛ حيث يصف لذة أخذ الأرواح بالممتعة والتي تجعله يحس بوجوده ويثبته على أرض الواقع هذا الذي أثبتته هذه الرواية التي هي جزائرية الطرح واللغة ولكنها عالمية الأفكار، ثم " صحيح أن الرواية المعاصرة قد تكون لها بعض الخصائص التي فرضتها سلطة

الزمن وسنن التطور في إطار مسايرة تعقيدات الواقع الذي تصوره، لكنها لا تقصي بالضرورة أي نص، فتضع النصوص على قدم المساواة مهما كان أحدها موغلا في القدامة والآخر يقف على تخوم التجريب القصوى... ليكون مفهوم المعاصرة المفهوم الأنسب لما نتغياه من هذه الدراسة والأقدر على احتواء كل الحساسيات السياسية، الدينية، الاجتماعية، الفنية.."(الداديسي، 2017، صفحة 11) بمعنى أنه لكل حقبة زمنية خصوصيتها التي تؤثر على مسار المبدع في معالجة أحداث واقعه الحقيقي أو الروائي؛ لذلك البعد الواقعي داخل متن رواية "اختلاط المواسم" مظروف بتلك الظروف الاجتماعية التي ساستها أحداث العشرية السوداء، وما شاع من مشاهد القتل ونهب الثروات وزهق الأرواح ونحو ذلك من الأفعال الغير إنسانية.

فالقاتل هو محور كل الأحداث وعلاقاته الجنسية مع نساء الملاهي من جهة، ورابط تعرفه على "سميرة قطاش" تلك الأستاذة الجامعية التي جعلته يدرك فكرا جنسيا مختلفا –نوعا ما– عما ألفه. ولنتحدث عن علاقاته الجنسية مع نساء الملاهي الليلة والتي قصدها علها تخفف من حدة شغفه بتلك اللذة الجنسية السادية التي ينتشي بها خلال ممارسته لفعل القتل أو حتى التفكير فيه عبر درجات، ولكن قبل الخوض في هذه الجزئية لابد من أن نزيل اللغط الموجود بين ماهية الجنس والحب كعاطفة من خلال الجدول التالي(الداديسي، 2017، صفحة 9):

الجنس	**الحب**
الجنس عام	للحب معان شخصية
الجنس درامي	الحب غنائي
الجنس مشترك بين البشر والبهائم	الحب مجهول لكثير من بني البشر
الجنس غريزة وحاجة	الحب إحساس وشعور
الجنس نداء للطبيعة	الحب ضرورة للثقافة
الجنس أعمى لا يميز بين شخص وآخر	الحب موجه نحو شخص بعينه
الجنس حافز بيولوجي للكيمياء ضمن العضوية	الحب توق انفعالي شديد من إبداع خيال الفرد
الجنس يعنى بخيار الجسد	الحب يعنى بخيار الشخصية
للجنس دافع للتخلص من توتر عضوي	في الحب حاجة للفرار من شعور بالنقص

فما يسيطر على بال وفكر البطل في هذه الرواية هو الجنس لا الحب، فإننا لا نجده يبحث عن طرق للتعبير عن حبه لأنه أساسا لا يحب، ولا يستطيع أن يختبر مشاعر الحب ليس بعد أن تدنس قلبه برذيلة الجنس الغير سوي، والذي استهله مع إحدى فتيات الحانات الليلية نحو قوله " كيف أعثر على عشيقة يا ترى؟ ثم فكرت في العاهرات، هؤلاء بالمال يمكنهن مصاحبتي، وبدأت في تلك الليلة أبحث عن عاهرة مناسبة، ذهبت إلى ملهى ليلي برياض الفتح... كنّ كثيرات من كل الأعمار، ومن كل الأشكال، مجهزات لكل أنواع الرغبات، عليك أن تدفع الثمن المناسب فقط"(مفتي، 2019، صفحة 40) تركيزنا مع هذه المشاهد مفاده تحويل القاتل تركيزه من فعل القتل إلى الجنس، وقد نتساءل لماذا فكر بالجنس أولا كبديل مقنع لممارسته اللاأخلاقية؟ خاصة وأنه لم يحض بامرأة مهمة قبلا في حياته عدا أمه التي لم يكن يحبها أو حتى يطيقها لكبر سنها كما كان يصف علاقته بها، ثم هنا لم يقل أبحث عن حبيبة بل قال عشيقة، لأنه كما ذكرنا سالفا طبعت سجيته على الإثارة الشبقية فلا يبحث عن رفيق لروحه، بل عن وسيلة يلبي بها حاجاته الجسدية التي وقع تحت وطأة سلطتها، مما حاد به عن كفة المشاعر السوية والطبيعية التي تجعل الذات البشرية تأنس للغير وتبحث عن الراحة العاطفية قصد خلق توازن سيكولوجي.

يكمل القاتلقوله واصفا مشهد الإغراء الجنسي للمرأة التي جلست بجانبه وفق نمط تفكيري ليبيدي سادي " أخذت مكانا لي بالقرب من واحدة كانت تضع باروكة على رأسها، وتكبرني حسب هيئتها الشكلية بعقد بأكمله، رحبت بقعودي أمامها، وضعت فخذها الأيمن الناصع البياض على الأيسر، هي أيضا تدخن عرضت عليّ سيجارة فرفضت بأدب، قالت: لا مشكلة؟ وسألتني ماذا أشرب؟ فقلت لها: اشربي أنت على حسابي، طلبت من النادل أن يحضر لنا زجاجة ويسكي صغيرة، من نوع (جيمي والكر)... لم أكن أنتظر أن تعجبني طريقة تلك العاهرة في إدارة الحوار معي، وهي تقوم بدورها بصورة روتينية معتادة، فلن أكون الأول ولا الأخير من الغرباء الذين يمرون على طاولتها ويجلسون إلى جانبها وتمارس عليهم بعض إغوائها بحسب ما تشعر به من رغبة عند الطرف الثاني، وهي ترى الشرب والسكر ضروريا في عملية الإغواء فهو الذي ينشط عند الرجل رغباته الجنسية الخامدة"(مفتي، 2019، صفحة 41) بنوع من التلاعب السيكولوجي وعن طريق الاستهزاء والمسايرة، وقد تكون هذه الطريقة التي يتعامل بها القاتل بداية لمرحلة مهمة جدا في حياته وهي البوابة التي دخل منها إلى عالم الجنس، ولنشر إلى أن زاوية النظر عند الرجال في المواضيع الحياتية بشكل عام تتمايز عن نظرة المرأة، فإننا نجد نوعين " رجل ينظر إلى الأشياء ورجل ينظر في الأشياء. فالأول يحار فيها لأن صورها وأشكالها ومخاطيطها تستفرغ في ذهنه، وتستملك حسه، وتبدد فكره فلا يكون له منها ثمرة الاعتبار، ولا زبدة الاختيار، وإذا فقد الاعتبار في الأول فقد فائدة الاختيار في الثاني، وأما الناظر في الأشياء فإنه يتأنى في نظره، وتأنيه يبعثه على التصفح البالغ، والتصفح البالغ يؤديه إلى تمييز الصحيح من السقيم، والباقي من الفاني، والدائم من العارض، وما هو قشر مما هو لب، وما هو شعار مما هو دثار، وما هو شجرة مما هو ثمرة"(سرحان، 2010، صفحة 7) ولكن الوصول المفتاحي الصحيح والمناسب لشخصية القاتل هنا، أمر في غاية الصعوبة بحيث أنه حقا يدمج بين النظرتين للأمور وهذا نستدله من خلاله طريقته في التحاور مع هذه المرأة، ويكمل تجربته الجنسية الجديدة معها بحيث يوضح لنا مدى ثباته على جو جديد عليه بطريقة غير طبيعية نحو " سألتني بفضول عن عملي فلم أجبها طبعا، ثم ما هي الأشياء التي ارغب فيها جنسيا، شرحت لها أني جديد في هذه اللعبة، عادت للضحك من جديد، مستغربة من حالة فريدة تظهر لها في هذه الليلة من ليالي ملهى رياض الفتح، وعندما جاءت قنينة الويسكي،

أفرغت لي المشروب الذهبي في كأسي ثم في كأسها وقالت: في نخب رجل فريد من نوعه، فقلت في نخب عاهرة سعيدة بحياتها...وسألتني: والآن ماذا تريد مني؟ فقلت لها بكل وضوح: كم الليلة؟ فردت (مليون)؛ أجبت بسرعة: اتفقنا"(مفتي، 2019، صفحة 42) حتى هذه اللحظة السردية نمطية التفكير الجنسي عادية كاي رجل يقصد مكان مثل هذا باحثا عن المتعة الجسدية، ولكنه يختلف عن البقية من حيث نظرته لهذه العلاقة التي استمرت مع نساء الملاهي حتى حفظ اسمهن، ولكنه في مرحلة زمنية معينة تجاوز الوضعية التي هو فيها، ذلك أن هذه الفتاة الليلية –سمسم كما لقبها– " لم يعد يغريها البقاء بقربي، خاصة عندما جربت معي فعل الجنس بطريقة خطرة وأنا أشترط عليها أن أخنقها من رقبتها بيديّ، وكادت تموت لولا أنها أخرجت من حقيبة يدها التي كانت بقربها، علبة سوداء صغيرة لغاز مسيل للدموع جعلتني أرفع يدي عنها بسرعة... تركت العاهرات لحالهن، فهن لا يفكرن إلا في المال، وممارسة الجنس معهن مضجرة، مجرد تمثيل في تمثيل، يعرفن كيف يكذبن لأنهن تعودن على ذلك الفعل، حتى لم يعد يثير فيهن أي لذة، صحيح أن فكرة قتل سمسم راودتني عدة مرات، خاصة عندما يطير عني النعاس في الليل، بينما هي تتمدد في سريري الواسع وتغرق في نومها اللذيذ والطويل.."(مفتي، 2019، صفحة 52) هذا الذي مفاده أن فرض الهيمنة واستعمال العنف في الجنسي جزء لا يتجزأ من شخصية القاتل، فهو يصرح أنه مدرك تماما أن ممارساته الجنسية مع مثل هذه النساء كلها تمثيل وتصنع فلماذا إذن يستمر في مقابلتهن؟ لأنه يظفر منهن بالشيء الحقيقي الذي يريده وهو استعمال العنف معهن، وجعلهن يرضخن له ولأسلوبه السادي حتى يقترب بدرجة من الدرجات من الانتشاء الحقيقي الذي ينشده والذي ينجلي إثر عمليات القتل العشوائية، التي كان يفتعلها بسبب طبيعة عمله كرجل أمن.

قد يبدو تصرف القاتل السادي وتفكيره الوحشي في البشر بصفة عامة والنساء بصفة خاصة، انه ينبع من لدن رجل جاهل متخلف رجعي التفكير، غير أن صاحب لسان الحل في هذه الرواية شخصية مثقفة ومتعلم حتى انه كان يستمتع كثيرا بقراءة الرواية خاصة رواية الجريمة والعقاب لديستيوفسكي، الذي قال عنه " هذا الكاتب لو لم يصبح روائيا لكان مجرما حقيقيا وناجحا، ولدخل التاريخ من هذا الباب، لكن لسوء حظه نجح في الكتابة الروائية، وربما كانت لذته فيها أكبر من لذة الجرم والجريمة... لا بد –كما أخبرتكم من قبل– أنه يوجد في نفس كل إنسان شيء ما قوي يستطيع سحق باقي الأشياء"(مفتي، 2019، صفحة 78) فتأثير فلسفة هذه الرواية بالذات على نمط تفكير القاتل كان بؤرة مساره الإجرامي وطرحه لرغباته الجنسية وفق أطر وصور مكانية وتشخيصية مختلفة، ثم إن التحليل النفسي قد اخذ نصيبا وافرا من أفكاره الأساسية ونظرياته حول تكوين الأنماط الشخصية من مثل هذه الرواية، فقد "ربط علم النفس الفرويدي خاصة، بين الإبداع –أيا كان نوعه– والكبت. وقد درست حالة الإبداع دراسة نفسية، وتوصلت إلى أن الشحنة الانفعالية للهو أو الأنا أو الأنا الأعلى التي تولد القلق، وقد تمنع من الانطلاق إلى سطح الشعور، أو قد تتصدى لها شحنات انفعالية مضادة، أو القضاء على شحنة انفعالية أو وقفها بواسطة شحنة انفعالية مضادة يسمى كبتا"(الشويلي، 2017، صفحة 151) ومفاد هذا أن القاتل شخصية غير سوية ذلك راجع لعمق المكبوتات الجنسية الأولية التي حملها معه منذ فترة طفولته حتى "أن نظرة فرويد إلى المبدعات الفنية الكبرى لا تخرج عن كونها تؤكد الأصل الكبتي للإبداع، إذ إن المبدعات الفنية عنده ليست إلا تعبيرا عن مكونات الطفولة، ودوافعها الملحة"(الشويلي، 2017، صفحة 151) وحقيقة قد لاحظنا فتورا غريبا بين القاتل لما كان طفلا صغيرا دون الثانية عشرة من عمره وبين والديه، وخاصة أمه فقد كان يحس بكره شديد تجاهها وكان ينفر منها لأنها كبيرة في السن حتى انها كانت تحب قطتها

أكثر منه، وأكيد لما نسقط النظرية الجنسية الفرويدية على سلوك هذا القاتل لانتبهنا أن سرّ ميولاته العنيفة في الجنس راجع لعدم حصوله على ذلك الحنان الطبيعي الذي يقوم عادة بين الأم ورضيعها، فيصف حاله معها ومع والده "أكرهها من حين لآخر مع والدي لأنهما انجباني في سن متأخرة. كانت أمي في الخامسة والأربعين وابي يقارب الستين، ولدت في بيت عجائز مسكون بالصمت والوحشة، ولم يتح لي الزمن معرفة سبب تأخرهما في قرار الإنجاب رغم أنهما تزوجا في مرحلة الشباب، وكان يجمعهما حب قوي ومثير، وكان يظهر ذلك في علاقتهما المترابطة والمتراصنة"(مفتي، 2019، صفحة 13) للقاتل إذن فلسفته الخاص في تبرير افعاله التي يؤكد ويصرح على أنها شر ودنيئة، ولكنه من منظوره هو يجعلها حتمية وليست بتلك السوء لأن المجتمع والفترة الزمنية التي هو معني بظروفها تقود الإنسان إلى فجوة عميقة نتيجة الصراع الداخلي الذي ينبثق من نزعة الموت والعدوان الفطرية جدا، وكأنه كان يطبق نظرية أنه افضل وسيلة للدفاع هي الهجوم، فبدلا من أن يصبح هو الضحية والذي تطبق عليه احكام التنمر صار يستهل الأمور كلها بالهجوم خاصة على من هم حوله في محيط المدرسة مثلا في طفولته، ونحن نربط السادية بالفكر الجنسي لأنهما وجهان لعامل واحد فالسيطرة الذكورية تتحقق عند القاتل بأسلوب الترهيب والأذية هذا الذي تعلمه من موقف دار بينه وبين زملائه في الدراسة حين قال "لقد احضرت معي سكينا من المطبخ، وعندما أخرجته أمامهم شاهدت حينها بأم عيني ذلك الفزع الذي سيطر عليهم، وكأنهم انتظروا كل شيء إلا أن افاجئهم بهذا السلاح الأبيض، ودون أن يصدر من أي واحد منهم كلمة صغيرة فروا جميعهم في رمشة عينن واختفوا تماما من امامي، ارتسمت على شفتي ابتسامة فرح غامضة، أحسست بالسعادة العميقة التي لا استطيع حتى شرحها لكم، ليس لأني ارعبت ثلاثة أطفال كانت نيتهم النيل مني وإشباعي ضربا حتى استسلم وأعلن أمامهم هزيمتي، فلا تقوم لي بعد ذلك قائمة؛ بل لأني كنت واثقا بقوة مبهمة في روحي"(مفتي، 2019، الصفحات 16-17) تحمل السيطرة الذكورية منذ الاستهلال الأول في حياة القاتل ابعادا غير سوية نسبيا، خاصة وأنه قد صرح أن افعاله العدوانية لم يكن الهدف منها حماية نفسه، بل على العكس فقد كان يحب ويستمتع بنظرات الرعب والخوف التي تلمع في أعين ضحاياه وكأنه ليبيديا ينتشي بفرض السيطرة وتجريب الأذى سواء النفسي أو الجسدي.

هذه التجربة التي مر بها شخص القاتل منذ مرحلة الطفولة تتناص كثيرا مع العديد من الشخصيات السادية التي لطالما تحدثت عنها الأعمال الفنية، وابدع الروائيون خاصة في تسليط الضوء عليها لأنها نتيجة لرغبة ونزعة جنسية واحدة إيروسية ومن ذلك نذكر أحد الشخصيات السادية التي تماثل شخصية هذا القاتل والتي وجدناها تحمل ذات عمق تفكيره نحو قوله هو بدوره، كنت في العاشرة. كنت أتمدد على السرير وأروح أختلق أشياء رائعة... الأشياء التي كنت أختلقها كانت قوية للغاية، كثيفة للغاية، حتى لتكاد تبدو حقيقية. شعرت أني كنت في الواقع أعيش كل شيء في خيالاتي الشهوانية: صور نساء كانت لتأتي إلي، تتسلل بنفسها إلى الأفعال التي تبث فيها الحياة، هناك في غرفتي الظليلة الساكنة الصغيرة، أول غرائزي الشهوانية، فتصبح الغرفة الصغيرة منصة، مسرحا إيروتيكيا متوهجا. كنت صبيا صغيرا، ولكنني كنت مندفعا بقوة، بشجاعة، ووحشية، إلى رؤى واضحة من الأوضاع والإيماءات التي لم أكن أعرفها في تلك السن. كنت كمن استحوذ عليه رجل بالغ ليتسنى له استعادة تجارب عاشها. كان عمري آنذاك، معلقا بين الطفولة الأولى وبدايات المراهقة، شبيها بالأجنحة الشفافة والأعين المعصوبة في رسومات إيروس(بيفيلاكوا، 1998، صفحة 9) إن التفكير الجنسي لبناته الأولى قد تستهل بشكل صاخب مع ذوي النزعة العدوانية، هذا الذي لاحظناه من

خلال تجربة هذا الفرد الذي راح يصف بشكل محدد ودقيق تلك الهلوسات الجنسية والتخيلات الشهوانية للنساء اللواتي كن بمثابة تهدئة مؤقتة لرغبة الجديدة التي –نراها من زاوية نظرنا الخاصة– على أنها طريقة فعالة لعلاج تلك الذات المنسلخة عن المسار الطبيعي لتكوين الشخصية، لأننا نعلم يقينا ان الكائن البشري مقيد بالأمل، بالرغبة وهي رغبة تمتد بين الهروب من الموت ومن عناصره: كل ما يساهم في هدم الجسد من الداخل ويغير ملامحه. إنها ثناسونية قاهرة وانعتاق من قواه، ونزوح صوب الأبدي تخلصا من تغيرات المادي، صوب الخلود. ولعل لحظة النشوة الممهورة باللذة هي التي تمنح هذا الكائن إقامة في المطلق... إذ يندرج النشاط الجنسي في الأفق الواسع للحياة والموت والزمن والصيرورة والخلود، وقد بات هذا النشاط ضروريا لأن الفرد صائر إلى الموت، ولكن ينجو من هذا الموت بشكل من الأشكال(محمد، 2002، صفحة 72) لهذا قلنا أن هذا النشاط الجنسي المبكر لشخصية القاتل بمثابة علاج ذاتي للضرر الدامغ في شخصيتهن فالأفكار السادية أساسها تلك العاطفة العدوانية خاصة الأطياف الثاناسية التي تهدف إلى الاقتراب من كل امر مدمر ومؤذي للآخر ويشير الانتشاء المناسب للذات الفاعلة.

في مطلق الأحوال ما يحصل مع بطل رواية اختلاف المواسم هو اسقاطات عملية على أرض الواقع لتلك الطفرة السيكولوجية بداخله، والتي ينعدم فيها ميزان الأخلاق والقضايا الإنسانية الكبرى الموحدة بين بني البشر في مختلف أمصار واقطار الكرة الأرضية، فالأخلاق عالم متشابك استمد تسميته من الكلمة اللاتينية Ethos التي تعني: العادة، العرف، الممارسات إلخ... ويمكن لهذه الاخلاق أن تتغاير وتتعدد عند النوع الواحدة من أنواع الحيوان، كما أن أخلاق الإنسان، بالطريقة ذاتها، تتغاير وتتنوع نبعا للمناطق التي يعيش فيها ووفقا للشروط الحياتية. وقد أظهر علماء تاريخ الاخلاق، من خلال أبحاثهم، إن الغريزة، ذلك الميل الفطري، المكتسبة بالوراثة والخاضعة لتحريضات الجملة العصبية وتأثير الهرمونات التي تدفع بالكائن إلى أفعال جوهرية بالنسبة للحياة والبقاء... والإنسان بالنسبة لعلماء الأخلاق 'المختصين بالسلوك' قد اكتسب أخلاقه الأساسية من الحيوانات ومعها قبل أن يتغير"(فريشاور، 1999، صفحة 20) قضية الأخلاق هنا تجعلنا نطرق باب الأنماط العليا وقضية الجدل القائمة بين اللاشعور الفردي مع رائد التحليل النفسي سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، واللاشعور الجمعي الذي حمل لواءه كارل غوستاف يونغ(Carl-Gustav Jung) والتي يصرح فيها هذا الأخير بأن هنالك أسبقية واحقية لتلك الأمور المتوارثة بين بني البشر والتي يشترك في حملها بلا وعي مدرك كل البشر نحو قضية الاخلاق والحب والتكاثر ونحو ذلك على فعالية المنحنى الغير شعوري الفردي والذي يتعلق فقط بمسار شخص واحد مظروف بظروف خارجية مثل الوسط الذي يعيش فيه، وطبيعة البيئة..، وداخلية تخصه هو وحده لا غير نحو نمط التربية التي حظي بها في طفولته وعلاقته بوالدته خاصة أثناء فترة الرضاعة وما تعرض له من مواقف استدعت تفعيل آلية الدفاع الأساسية ألا وهي ميكانيزم الكبت (Répression) الذي يعمل أثناء تعرض الشخص لموقف صادم أو تنبيه سيكولوجي فعال لا يتناسب وخلق التوازن النفسي لهذا الأخير ليكبت تلقائيا تلك الأفكار والرغبات التي لا مجال لتحقيقها في تلك اللحظة الراهنة، مثال ذلك ما يحدث مع شخصية القاتل الذي يبحث بلاشعور عن طريقة تخلصه من أطيافه النفسية المشحونة برغبة القتل قصد التطهير الذاتي، ولكنه يقف عاجزا بين تحقيق هذه الرغبة الملحة وبين الواقع الذي يمنعه من هذا الفعل الشنيع بحجة الأخلاق والدين وما إلى غير ذلك..، فيكبت هذه الرغبة التي بدأت تتحول وتتمايز من قوقعة الشهوة إلى الحاجة للتحقق فتختبئ في مستودع اللاشعور لفترة معينة، لنجدها تطفو وتظهر للعلن بشكل مغاير مرة اخرى حينما يتعرض "القاتل" لمنبه فعال أو موقف

يحرك هذه الرواسب السيكولوجية من المخزن الذي تختبئ فيه مثلما صار يحدث معه حينما يقرا روايات عن القتل أو يرى مشهد وحشيا وعدوانيا نحو ما سرده لما لاحظ قدرة التمساح على القتل.

يمكننا أن نستدل على قوة الشهوة الليبيدية عند شخصية هذا القاتل المضطرب نفسيا من خلال الكثير من الحوار (المونولوج) الداخلي الذي نجده في متن الرواية والذي يتكرر كثيرا على مدار الصفحات مثل قوله وحديثه عن محور الجنس في الوسط الذي يعيش فيه قائلا انه يمكنك تصفح بعض المواقع الجنسية ستجد فيديوهات لكل أنواع الجنس من الممارسة مع الحيوانات إلى الاعتداء على الأطفال، كل أنواع الشذوذ، ما تطلبه سيكون تحت قدميك، المهم ادفع من بطاقتك الإلكترونية، أو أرسل حوالة مالية على العنوان الفلاني، وكلما دفعت زادت حاجتك، وتضاعف إدمانك ولن تشبع، ولن تشبع وستظل تجري وراء سراب مستحيل، حيوانية لن تكتمل فيك، إنها الحقيقة كما صار عليها البشر، أو كما كانت دائما، الحيوانية هي الأصل والثقافة تشويهات على الحقيقة البشرية الحيوانية تلك. هذه الأفكار أقولها حتى تفهموا أشياء قد تصدمكم مني، أو قد تعتبرونها خروجا عن خط سيركم الإنساني المستقيم، ثم أنا لا أذكرها لأبرر أي شيء، لقد فكرت هكذا من الأول، وكبرت بهذه الرؤية للعالم، ولم أحد عنها قط(مفتي، 2019، صفحة 25) لهذا السبب بالتحديد تحدثنا آنفا عن طبيعة الغريزة الجنسية التي لطالما فسرها الكثيرون من الدارسين وربطوها بالشهوة الحيوانية طبعا في حدود ما يسمح به العلم والعرف، وطريقة طرح القاتل وصراعه الداخلي الذي يتهيأ لنا في صورة مسالمة وباردة أمر خطير جدا فأنى له هذه الرتابة في مناقشة قضية أساسية وخطيرة كالجنس الشاذ بينه وبين نفسه دون أن يأبه أولا لحدود الدين الإسلامي ثم العرف الأخلاقي؟ فقد حاد بوعيه وإدراكه إلى ما هو غير عقلاني تماما فالسعي إلى اللذة من أجل ذاتها يصبح شاذا إذا طغى على حاجات الإنسان الحقيقية وجعله يهملها وينحرف عنها. عندئذ يصبح هذا السعي نوعا من السرطان، فالسرطان في الكيان الإنساني كما هو معلوم عبارة عن خلايا طبيعية تتكاثر بشكل مفرط فيختل من جراء هذا التكاثر توازن الجسم فيعتل ويسير نحو الهلاك، وكأن جزءا من الجسم باتخاذه أهمية مفرطة، انقلب على الجسم ككل ليدمره. هكذا فالسعي إلى اللذة من أجل ذاتها أمر طبيعي عند الإنسان، ولكنه، إذا تضخم وتجاوز الحدود، انقلب على نفسه وعلى الكيان الإنساني(بندلي، صفحة 37) فإن كان توجه القاتل في الجنس طبيعيا منذ البداية فلماذا ذكر المواقع الالكترونية التي تحتوي على مشاهد إباحية غير سوية تتعلق بالشواذ والبيدوفيليا؟ ذلك أن الأمر تحول من مجرد نزوة فإلى شهوة فإلى احتياج فصار هذا الاحتياج في وضع رتيب لا يلبي فضول الشخصية ولا يعفيها من لجة الطلب حيث يمكن للسعي إلى اللذة إذا تضخم، أن يتنكر لأصالة الجنس الإنساني. قلنا ان الجنس عند الانسان يتفرد بكونه، في جوهره، سعيا إلى الآخر بغية اكتمال كل من الشريكين في لقاء صميمي بين شخصيهما. في هذا اللقاء لذة، ولكن اللقاء أبعد من اللذة وأعمق، لأن اللذة فردية بطبيعتها، أما اللقاء فانه ينشئ وحدة جديدة يتجاوز فيها كل من الشريكين فرديته، فيندمج (الأنا) و(الانت) في كيان جديد، هو (النحن)، الذي فيه يكتملان دون أن يذوب أو يمتحي أحدهما. ولكن إذا أصبحت اللذة غاية الجنس الأساسية (لا أقول إذا أصبحت غاية من غاياته، فهذا أمر طبيعي، ولكن إذا أصبحت بأل التعريف)، لم يعد للآخر من أهمية سوى لكونه أداة لبلوغ اللذة. وهكذا يتضح أن طغيان السعي إلى اللذة من أجل ذاتها يقوي في الجنس تلك النزعة الاستهلاكية التي رأيناها ملازمة له من حيث كونه حاجة غريزية، فيلتقي وعي الانسان– الذي هو أساس تمييز اللذة واتخاذها غاية– مع كثافة الغريزة، ليحولا الجنس عن خطّه الإنساني الأصيل، ألا وهو السعي إلى الشخص الآخر(بندلي،

الصفحات 37-38) ولمدار المونولوج الداخلي بين أنا القاتل وبعد ذاته مسار واحد ولا يمت لأي صلة بوجود الآخر الذي في حالة الرجل الطبيعي ستكون المرأة أي أن اتحاد الذات مع الآخر يكون بشكل متناسب طرديا في العملية الايروتيكية الطبيعية، لكن سادية شخصية القاتل تقضي بقطع كل أوصال الاتحاد مع الآخر (المرأة خاصة) وعدم الاعتراف بها ككيان جدي مستقل يستحق الانتباه له لذلك تفكيره قد توجه مباشرة صوب الشذوذ الفعلي الذي نجد أن له بؤرة كبيرا وفوهة تشكلت واستهل وجودها انطلاقا بعلاقته بأمه وابيه التي تثير حولها الكثير من علامات الاستفهام والتعجب، منها ثباته على فكره وشعوره البارد والرتيب بغير سوية حينما مرّت به السنون فقال أنا لم أتغير كثيرا، عندما كبرت، أقصد لم يصدر مني شيء سيئ منذ حادثة قتل القطة وشعوري بتلك اللذة الروحية والجسدية الغريبة، وكما أخبرتكم: فقط تكيفت قليلا مع المحيط الذي أعيش فيه، حتى توفي والدي! في البداية: مرض بمرض تافه، يتعرض له الجميع دون أن يتوفوا، ولكن لأنه كان مدمنا على شرب الويسكي كل ليلة؛ توفي بعد إصابته بزكام خفيف في فصل الشتاء من عام (1992)؛ فلم يتحمل جسده ذلك، وبعدها لم تمر إلا فترة قصيرة حتى لحقته والدتي دون مرض، بشكل غريب وجدتها نائمة في الفراش، حاولت أن أوقظها؛ فلم تستيقظ ! وأدركت أنها ماتت، كان جسدها باردا ونحيلا!

بدا الموت وكأنه انتزعها من الحياة انتزاعا، أخذها رغم أنفها، فأمي كانت تحب الحياة وترغب في المزيد منها، ودفناها في مقبرة سيدي أحمد، أي غير بعيد عن حي العناصر، حيث تركوني وحدي أعيش في بيت واسع تطوقه حديقة جميلة، وبالرغم من إحساسي بالكثير من الألم، الذي يشبه جسدا عاريا يمشي في غابة مليئة بالأشواك؛ إلا أني لم أذرف دمعة واحدة... لقد صرت وحيدا إلا من نفسي ! لم يعد هنالك من يتحكم في أفكاري أو حركاتي، وحتى لو قمت بمجزرة ضد كل القطط لن يعترض علي أحد، أنا حر في بيتي، ولا يحق لأي كان أن يتدخل في أموري الخاصة والعامة من ذلك اليوم فصاعدا، لقد صرت بشكل ما سعيدا(مفتي، 2019، الصفحات 25-26-28) من هذا البوح السيكولوجي والتداعي الحر الذي يحصل بين القاتل ونفسه نفهم حقا أن تجربته في التلاقح والتناقح الوجداني والعقلي مع الآخر الأول الذي يقابل في حياته (ابيه ووالدته) كانت فعلا تجربة فاشلة فهو لم يحزن قط على فراقهما بل أخذ يصفف بكل برودة جسم والدته البارد والنحيل ويظهره للمتلقي بصورة بشعة وغريبة بعيدة عن كل ما هو انساني وديني هذا الذي انعكس على استواء قدرته على الاعتراف بوجود أحقية لوجود متعة وارتياح نفسي وشعوري وحتى اكتمالي اثناء العملية الجنسية وليس الامر يتعلق بالمتعة الجسدية ومقتصرا عليها لذلك لابد لهذا التحوير أن يأتي بنتيجته المنطقية، ألا وهي اخفاق الجنس. ذلك أن هدف الجنس عند الانسان هو اللقاء، المشاركة. ولكن اللقاء، كما قلنا، لا يتم إلا بين شخص وشخص. الشيء يستهلك ولكن لا يتحد به، يذوب فيّ ولكنه يبقيني في عزلتي. أنا لا اكتمل إلا إذا تجاوزت ذاتي للقاء الآخر، ولكن هذا الآخر يغيب إذا أصبح شيئا يستمتع به، وأبقى أنا فريسة فراغي ! هكذا فانحراف الجنس نحو اعتبار الآخر مجرد متعة يجعله مخطئا لمرماه الاتحادي وبذلك يحكم عليه بالفشل. هذا الفشل يتجلى في الخيبة التي يصاب بها المرء إذا سلك هذا الطريق المسدود. قد يحاول إخفاء هذه الخيبة حتى عن نفسه، لكنها لا محالة حاصلة. ذلك أن الانسان، إذا توقف عند المتعة الجنسية، ينتظر منها الملء كل الملء، ولكنه بعد انتظار متوتر لغبطة خارقة لا يحصل إلا على لحظة من النشوة تتركه فارغا كما كان! هذا هو سر الحزن الذي كثيرا ما يعتري المرء بعد الجماع(بندلي، صفحة 38) بطبيعة الحال تميل النفس البشرية إلى الحركة والتجدد إذن فالشعور بأنه لا متعة إضافية

تتجدد بعد الممارسة التطبيقية للفعل الليبيدي دون استجابة طبيعية عند التعامل مع الآخر لها اثرها الذي هو محصلة التوجسات والتصرفات المثلية السادية التي مهما حاول الكاتب 'بشير مفتي' اخفاءها عن شخصية القاتل في هذه الرواية "اختلاط المواسم" إلا انها تطفو للعلن وتظهر بشكل واضح في حديث القاتل الذي جرب نشوة جنسية محمولة على السيطرة والسادية عن طريق القتل وممارسة الاعتداء وما يؤكد صحة هذا الاسقاط الذي لاحظناه بسبب حقيقة وواقع انه يبحث (أنثروبولوجيا الجنس) في الطرائق المتنوعة التي يعتمدها البشر للحديث عن الأفعال والأنشطة والتجارب الحسية والجنسية وتجسيدها في الثقافات المختلفة... فبدلا من الاكتفاء بتقديم سلسلة من قصص الجنس المشوقة التي وقعت أحداثها من دون تخطيط، يحاول (انثروبولوجيا الجنس) أن يقدم للقراء بأسلوب نقدي ومقارن صورة واضحة – وهذا ما نأمله– عما يقوله الناس في البلدان الأخرى، ويفكرون به ويفعلونه بشأن الجنس ثم استكشاف الآلية التي ترتبط بوساطتها منظوراتهم بنظريات الجنس التي طورها الأنثروبولوجيون وغيرهم من علماء الجنس، فالجنس ليسَ الجوابَ، إنه السُّؤالُ،. نعم. هو الجوابُ !(دونان و ماغوان، 2017، صفحة 31) فالمزج بين عالم الدراسات السيكولوجية والاجتماعية وبين عالم الفن والإبداع الأدبي بالأخص خطوة فعالة خاصة في المسرديات الروائية التي لطالما حمل أصحابها على عاتقهم ضرورة نشر الأفكار الحقيقية الغامضة التي تعكس الواقع ولكن وفق نمط إسقاطي مساعد لا مثبط.

3.الحضور الأنثوي والاستدعاء الجنسي في رواية اختلاط المواسم

1.3المثلث الجنسي لشخصية "سميرة قطاش" بين الحب وفعل الجنس:

من أهم الأحداث المسرودة في رواية "اختلاط المواسم" هي تلك الحالة الوجدانية السيكولوجية الغريبة لشخصية تدعى "سميرة قطاش"، وهي امرأة تعرف عليها القاتل لما انتقل من العاصمة إلى مدينة تيزي وزو باحثا عن ضحايا ومتع جنسية جديدة، فقد تقمص دور الكاتب الروائي حتى يستطيع الانسجام أكثر في المجتمع ويقترب من ضحاياه بطرق جنسية مختلفة عما جربه قبلا، وبينما هو في إحدى المكتبات "دخلت امرأة في العقد الثالث، بمعطف قطني أسود اللون وهي تطوق رقبتها بشال أبيض، اما شعرها الأسود فتركته ينساب على كتفيها، وعندما شاهدتني سلمت علي بصوت خافت فرديت عليها التحية، ثم سألتني إن كنت هنا منذ فترة طويلة، فنفيت، فابتسمت لي من جديد، وقالت وكأنها تعرفني من قبل: دائما يتأخر طلبتي عن موعدي معهم، اعتبرت كلامها استدراجا لي للحديث سألتها اين تدرس؟ أجابت وقد تقدمت مني بعض الأمتار هذه المرة وراحت تنزع معطفها الصوفي الأسود في الطريق: في الجامعة، أدرس الأدبي العربي.."(مفتي، 2019، صفحة 82) إن طريقة القاتل في وصف سميرة قطاش لا تبتعد اساسياتها عن الطرح الجنسي فهو يصف شكلها بشكل غريب عن الطبع المألوف، فيصف شدة سواده وسواد معطفها والمعروف أن وصف الرقبة او عنق المرأة إشارة واضحة إلى الرغبة الجنسية بها، ويبدو أن القاتل لمح في هذه المرأة شيئا جديدا جعله يهتم بها لدرجة أنه كان حريصا على راحتها معه، فاختلق اسما جديدا وهيئة جديدة عليه فقد قال "تلعثم لساني وهي تقدم لي يدها لمصافحتي، أخرجت يدي من جيب جاكيتي الجلدية وصافحتها بود، وقلت لها: وأنا سليمان ناصر. كان اسما اخترعته في تلك اللحظة، لم أكن أرغب أن تعرف

من أكون على حقيقتي"(مفتي، 2019، صفحة 83) لنهتم قليلا بشخصية هذه المرأة التي بكل بساطة وبود استطاعت قلب حقيقة القاتل فصارت نزواته العدوانية مثبطة مؤقتا وهو معها، ومهما يكن السبب وراء هذا فلنؤكد أن الكينونة البشرية مرنة وجدا زئبقية ليس من السهل فهمها أو استيعابها في مجال معين ففي النهاية القاتل هو انسان انتبه -كما يقول- إلى أمور موجودة في نفسه ومشتركة بين البشر وطورها واستخدمها وكأنما يشير بفهمه هذا " أن يحب المرء نفسه لا يعني أن يستسلم لما هو عليهن ان يحب المرء نفسه لا يعني الا يرغب في التقدم وتسلق الجبال لا يعني أن يصبح مهملا متراخيا متساهلا مع عيوبهن لكن ذلك لا يعني أيضا أن يجلد نفسه كل يوم ويلومها ويمقتها"(حداد، 2015، صفحة 168) وهذا بالضبط ما يفعل القاتل الذي يتأقلم مع سوداويته أفكاره وسادية افعاله، والتي يعلم أنه جزء منه ولن يقلع عنها ابدا ولو استطاع تثبيطها مؤقتا ربما لأنه رأى في سميرة قطاش " شيء من السوداوية والحزن والتشاؤم الذي يظهر في الملامح، والتوتر الذي يبرر عندما تتكلم، حتى لو أعطت انطباعا أنها امرأة سعيدة ومنعشة في حياتها، لكن بالنسبة لعين مدققة مثل عيني بدت لي عكس ذلك وأحسست أن لها حتى رغبات انتحارية، إن هذه الأمور لا تغيب عن خاطر قاتل عندما يحس بها تصله من روح تجلس غير بعيد عنه، بل القاتل أول ما يستشعره هو روح الشخص قبل حتى إدراك شكله الخارجي كاملا"(مفتي، 2019، صفحة 84) استطاعت هذه المرأة بالذات ان تبقى في ذهن القاتل، وتدخل حيز اهتمامه الذي ولأول مرة يتعلق بشخص آخر غيره فمسار القاتل الليبيدي تحول نوعا ما إلى سادية عاطفية هذا ما سنشهده وفقا للمشاهد السردية الموالية.

ومن لحظات تأثر القاتل بسميرة قطاش قوله وهو يحاور ذاته " لم أتصور نفسي بتلك الهشاشة ليلتها وانا أستحضر حديثي مع سميرة قطاش، وأسأل بحيرة واستغراب عن الشيء الذي يحدث لي من الداخل، ولماذا أفكر في تلك المرأة، ثم اهتديت إلى السبب الوحيد المقنع، السبب الوحيد الذي جعلني أنجذب نحوها، إنها عكس كل الناس الذين عرفتهم تريد أن تموت، أو وصلت إلى هذه الحالة، وأنني ربما لا شعوريا إن كان هذا مطلبها فأستطيع أن أحققه لها، من دون أن ترمي بنفسها على سكة حديدية فيدهسها قطار، أو من جسر شاهق وتنفجر على الأرض، لكن مع ذلك، لم يكن عندي نحوها أي رغبة في القتل، ربما في تلك اللحظة كنت بحاجة إلى صداقة ما، مع شخص لا يشبهني تماما ولكن اشعر مع ذلك بقرابة روحية تجذبني إليه"(مفتي، 2019، صفحة 88) يبدو أن هذه العلاقة التي قامت بين القاتل وهذه الأستاذة غريبة وغير طبيعية، فكما يصفها بكل قتامة وعبث وجودي فعليا هي شخصية سميرة قطاش هكذا، وكل هذه الأفعال المستسلمة للاكتئاب وعنصر الحزن الذي رصده فيها أساسه ذلك الانفلات الجنسي الذي عانت منه بين شخصيتين مهمتين في حياتها، أحدهما أحبته حبا عاطفيا ولم يبادلها هذه المشاعر وهو أستاذها لما كانت تدرس في الجامعة واسمه "صادق سعيد" الذي تزوج من امرأة أخرى اسمها سارة حمادي، أما الشخص الثاني فهو رجل كان يحبها بصدق تماما كما كانت هي تحب أستاذها ولكنها لم تستطع أن تبادله مشاعر الحب وكانت ترفض حبه لكن مقابل هذا الرفض كانت تعرض عليه جسدها حتى تعوض بطريقة فعلية تلك المكبوتات التي كانت تؤذيها نفسيا بسبب رفض استاذها لها.

يبدو أن "الإنسان هو مصدر الألم والتعاسة، ومشاعر اللذة والسعادة بالنسبة إليه هي مشاعر آنية زائلة، بينما تبقى المعاناة هي المضمون الحقيقي للحياة، وحينما يتظاهر الناس بالسعادة فذلك لأن الحياة

خداع دائم، ولا يمكن لها أن تحفظ عهدا للناس، وغن فعلت ذلك فإنها لا تلبث أن تلبث أن تظهر فيما بعد ندم الإنسان إلى ما سعى إليه"(البشاوي، 2014، صفحة 29) فالندم موجود بين كل البشر لأنه من السمات البشرية الفطرية، لكن تختلف طرق التعبير عنه وتتفاوت نسبه من شخص إلى آخر حتى بالنسبة إلى شخصية سادية مثل القاتل أو مكتئبة ذات ميول انتحارية نحو سميرة قطاش، فالأول يعبر عن ندمه بفكرة التطهير عبر القتل أما الثانية فبالغرق في عالم الجنس. ولأننا ذهبنا إلى أن السادية تنجم عن أطياف ليبيدية وجنسية بحتة انسجم القاتل وسميرة قطاش بطريقة تعبر عن شذوذهما الغير طبيعي فكرا وعاطفة، ومن ذلك قوله في هذا المشهد " ستضحكون لو قلت لكم أصبحت قاتلا عاطفيا بعض الشيء، حتى لا ابالغ في وصف مشاعري نحو سميرة قطاش، ولكن في الغد عندما جاءتني للبيت، شعرت بعاطفة حب ما تسري كما الدماء في شراييني، ولكن ما لم أكن أنتظره طبعا وأنا أحس بكل هذه العاطفة تغلي وتلتهب فجأة أن تخبرني بانها في أعماقها تحب شخصا حبا مستحيلا... هذا الرجل اسمه صادق سعيد...لم يلتفت إلي قط من زاوية الحب، كانت علاقته بي علاقة مبنية على الاحترام والزمالة.."(مفتي، 2019، الصفحات 90-92) من هذا الموقف السردي تبدأ علاقة سميرة قطاش الثلاثية ليس في الحب وإنما في تجربة الجنس، خاصة وأن الطرف الثالث في هذه المعادلة هو النموذج المثالي لتسقط عليه سميرة افكارها وميولاتها تجاه استاذها فقد كان "للصادق صديق عزيز عليه اسمه فاروق طيبي كان يعرفه منذ سنته الأولى في الجامعة، وهو صديقه الفكري الأول تقريبا، ولقد حاولت أن أثير اهتمامه بي، ولم يكن ينقصني الذكاء الانثوي لتحريك مشاعره نحوي، كنت اريد من خلال علاقتي به أن أثير مشاعر الصادق نحوين أدركت حينها أنه قاومني وبكل رجولة، حبا لحبيبته سارة، من جهة احترمت فيه ذلك، ومن جهة أخرى لعنته واقسمت أن أنتقم منه... لقد استدرجته إلى أن يمارس الحب معي في سيارته... لقد فعل ذلك معي دون أن يتحرك فيه الحب.. لقد كرهته، وتمنيت لو أستطيع قتله"(مفتي، 2019، صفحة 93) لنركز في عملية الإزاحة النفسية التي لا شعوريا قامت بها سميرة قطاش حتى تغير نوعا ما من حدة رغبتها في أن يبادلها أستاذها الحب العاطفي، فلتقلل من أزمة مشاعر عقدة النقص لديها وجهت نظرتها واتجاهها صوب أقرب صديق لأستاذها لعلها تحرك في هذا الأخير بعضا من الغيرة، ولكن ما حصل كان العكس هذا الذي جعلها تقع في خطيئة الرذيلة مرتين، مما أدخلها في متاهة مثلث الجنس البارد نحو:

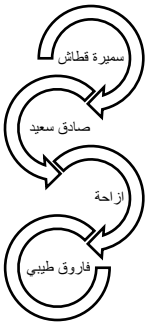

هذه الدوامة الجنسية الغير سوية مآلها لا محالة تأزم الحالة السيكولوجية لسميرة قطاش، فلا عجب أن يلتفت القاتل إليها ويشعر معها بنوع من الانجذاب ذلك لتماثل مشتركاتها الليبيدية في الأساس، ولأن الرغبة الايروتيكية واللذة الشهوانية هي أساس هذه الرواية فلا بدع أن يصف القاتل ما وقع بينه وبينها واصفا مشهدا جنسيا بينهما كان ختام قصتها التي اشتكت فيها من دناسة افعالها الشهوانية؛ حيث قال "تقدمت مني وقبلتني على شفتين قبلة وديعة، خافتة ولكن شاعرية، ناعمة، جعلتني أطوفها بذراعي، أغرق في شفتيها تقبيلا، وأنزل بأصابع يدي إلى فتحة صدرها...كانت تلك هي المرة الأولى التي أمارس فيها الحب بشكل طبيعي وشاعري وحتى إن لم أكن مبالغا في الوصف رومانسي، لكن يجب وضع كل هذا الكلام بين قوسين، لقد فتحت سميرة قطاش شهيتي لأكون بجانبها، وشهيتي لأقتل من أجلها، لقد قررت ان أنتهي من جميع الرجال الذين سببوا لها كل تلك الآلام... كان ذلك قراري الأخير"(مفتي، 2019، الصفحات 96-97) بطبيعة الحال إن دقة الروائي في تصوير هذا المشهد الجسدي تحيد كثيرا عن المألوف خاصة بالنسبة إلى رواية عربية جزائرية، فقد كسر هذا الأخير بجنسية الأفعال التصويرة وتبئيره في هذا المتن المسرود طابوهات محرمة جدا، ولكن من بعد نظر آخر " قد يقال أن تجنيس العلاقات الحضارية في الرواية يمتثل لضرورة فنية ورمزية، وهذا صحيح، ولكنه لا يكون مقبولا إلا على أساس واحد، وهو تصور العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تساو وتشارك وتكامل، لا علاقة سيطرة وتحكم من جهة، ورضوخ وانقياد من جهة ثانية... فالتجنيس فرضته بالفعل ضرورة الترميز الفني، ولكن ما لا يجوز أن يغيب عن البال أن منطق الرمز هو في الوقت نفسه رمز لمنطق: منطق رجال في عالم رجال وثقافية رجال ورواية رجال"(طرابيشي، 1997، صفحة 17) ففعلا مسار الرواية انحصر في مجال التراضي بين الجنسين فسميرة قطاش اقتربت من القاتل بمحض إرادتها بل وكأنها تعمدت أن تغويه حتى يسقط معها في تجربة جنسية، والقاتل أيضا هو الآخر وكما صرح لأول مرة يمارس الحب بعيدا عن التفكير السادي للبحث عن لذة الاعتداء والقتل، ولكن الرجل الذي جبل على غريزة معينة صارت من سجاياه ويفعلها على السليقة لن يتخلى عنها ابدا، فتبقى تلك الهيمنة الجندرية لجنس الذكر على الانثى حاضرة، فإحساس الحب الذي توجه به القاتل نحو سميرة قطاش دفعه ليقتل "صادق سعيد" وفاروق طيبي" انتقاما لها، ولكن مع ذلك عاد القاتل يحدث نفسه مجددا " كنت أدرك مهمتي جيدا، لقد استيقظ في القاتل دون أن أنتبه له، مع أني خدرته كل تلك الفترة القصيرة التي عشتها معها، وانتقمت لها من أولئك المجرمين، وليس منها هي، كانت تبدو لي طريقا جديدا، لكن سرعان ما تهاوى ذلك الطريق، ليس فقط لأنه لم يكن واقعيا ولا منسجما مع طبيعتي العميقة فحسب، بل لأنه كان مجرد وهم خيالي استأنست له وتركته ينمو داخلي، كتجربة جديدة، تجربة لا تشبه تجاربي السابقة، وها هو يقودني إلى لحظة نهاية تشبه كل قصص قتلي السابقة...طلبت مني أن أقبلها بعمق، قبلة طويلة، أن أمارس معها الحب بشعور من تمارسه لآخر مرة... ثم طلبت مني أخيرا أن ننتقل للفصل الأخير من الحكاية أن تشرب السم، فأحضرت لها كوب الماء ووضعت فيها ما يجعلها تغيب عن الحياة على الأبد.."(مفتي، 2019، الصفحات 248-243) حيثيات الرواية بدأت بفكرة القتل وانتهت بالقتل، فالسادية الجنسية سمة ثابتة في شخصية القاتل لذلك عالج الروائي طيلة مسرديته قضية الكبت الجنسي، والنظرية الجنسية التي أساسها ومفتاح فهمها هي مرحلة الطفولة والتي اسهب في وصفها فهي مستهل هذا الطرح الجنسي في عالم هذه

الرواية الجزائرية، التي أزالت اللغط عن أفكار وافعال موجودة في المجتمع الجزائري خلال تلك الحقبة الزمنية ولكن تجنبتها الكثير من الأقلام لخطورة طرحها وسوداوية ترتباتها.

إن بعد نظر شخصية (سميرة قطاش) يجعلنا كمتلقين نستفز ما في داخلنا من رواسب ثقافية وانطباعات موروثة ليتحرك فينا سؤال هل الحب إثم؟ أم التفكير الجنسي هو الجانب السيء منه؟ وهل هنالك حب طبيعي دون ميولات جنسية بين الرجل والمرأة العربية بالذات؟، إن من أبرز أوجه التطور التي نشاهدها في مجتمعنا منذ حوالي ربع قرن، خروج الفتاة من الدائرة الضيقة التي كانت تعيش فيها داخل المنزل إلى الحياة الاجتماعية الخارجية؛ فهي الآن تلتقي بالشاب في مدرجات الجامعة، وتشترك معه في الحفلات والرحلات وغيرها من أوجه النشاط الاجتماعي. ومن جهة أخرى اتسعت أمام الفتاة العصرية ميادين جديدة للعمل وكسب العيش؛ فهي تكون معاونة للرجل، وقد تكون مزاحمة له تريد أن تقتحم أبوابا جديدة باسم ما اكتسبته من علم، وما أبرزته من قدرة على القيام بأعمال كانت وقفا على الرجال، سواء في مجال الأعمال الحرة أو في القضاء والسياسة، ويبدو أن الدافع الأساسي للقيام بمثل هذه الحركة ليس في الواقع ضرورة كسب العيش فقط، بل الرغبة الملحة الغامضة في التحرير وطلب الاستقلال وإثبات شخصيتها. ولا شك في أن مثل هذا التطور الإجباري الخطير قد أدى إلى حل بعض المشاكل التي كانت تعانيها المرأة، ولكنه أثار في الوقت نفسه مشاكل جديدة، أو على الأقل زاد من حدة بعض المشاكل التي تنطوي عليها طبيعة المرأة ورسالتها الأصلية في الحياة فإذا كانت حركة التحرر والاستقلال قد أدت إلى إثبات شخصية المرأة في الوجهة الاجتماعية، فكثيرا ما يتم هذا النجاح الاجتماعي على حساب شخصيتها النفسية وتوازنها الوجداني العاطفي (مراد، 2020، صفحة 43) نفسها المشاكل النفسية والجسدية التي عانت منها سميرة قطاش نتيجة هذا التحرر، الذي اثر على سلوكها كأنثى وجعلها لا تتوارى عن إظهار شغفها برغبتها الجنسية التي صارت بالنسبة لها علاجا مثبطا لآلمها من الحب المرفوض واقعيا والذي كنته لأستاذها (صادق سعيد) الذي تزوج غيرها ومع ذلك لم يمنع نفسه من ممارسة الحب معها ومتابعة رسائلها، ولابد من أن ننوه أنه حقا ليس باليسير أن يقف الباحث موقفا موضوعيا بحتا في دراسته لسيكولوجية المرأة أو الرجل، كما لو كان يقوم بدراسة في علم الكيمياء أو الطبيعة؛ فبوصفه إنسانا يصدر حكما على بني جنسه فإنه يميل من حيث لا يشعر إلى شيء من التحيز؛ فالباحث سواء تكلم عن جنسه أو الجنس الآخر متأثر بتجاربه السابقة، وبالصورة التي قد يكون قد اكتسبها منذ طفولته عن أبيه وأمه، وبالنموذج الذي تبلورت ملامحه وسماته خلال الخبرات التي عاناها في سن المراهقة، عندما كان يتلمس في الجنس الآخر ما يرضي نهمه العاطفي، ويشبع حاجته إلى العطف والحب الناشئ. الواقع أن هناك سوء تفاهم مزمن بين الجنسين يرجع عهده إلى فجر التاريخ. ومما دعم سوء التفاهم هذا أن المفكرين والمشرعين، وخاصة المؤرخين، كانوا من الرجال، وهندما تحدثوا عن المرأة كثيرا ما وصفوها بالضعف والمكر والاحتيال، وغيرهما من الصفات التي يتخذها الضعيف للتغلب على القوي، وحتى في الحياة اليومية نرى أن بعض الأساليب التي يستخدمها الآباء في تربية أطفالهم تخلق في نفوس الناشئين سوء التفاهم بين الجنسين، وتجعل كل جنس يقف من الآخر موقف الاحتقار والازدراء، أو موقف التحفظ والحذر (مراد، 2020، صفحة 29) تماما كما نلاحظ مع أبطال هذه الرواية، فالرجال منظورهم للمرأة على أنها وسيلة واداة جنسية، وأنه ببساطة هنالك نساء

خلقن للحب والاحترام وأخريات خلقن للجنس والتسلية فقط مثلما لاحظنا مع تعامل (الصادق سعيد) مع سميرة قطاش.

نتعمق أكثر في زاوية مثلث علاقات سميرة قطاش من ناحية استاذها صادق السعيد ذلك أن كاتب الرواية 'بشير مفتي' قد جعل لهذه العلاقة حصة الأسد من بين ثلاثية الحب والجنس في حياة هذه الأستاذة الجامعية، ومن ذلك ذكره لتلك الخطابات السوداوية والايروتيكية التي كانت ترسلها سميرة قطاش لهذا الأخير ومنها قوله أنه: بعد شهرين من سفرها وصلتني رسالة من (سميرة قطاش) جاء فيها:

-عزيزي الأستاذ صادق سعيد، بعد التحايا والسلام، كما تعرفني أنا جد متحفظة مع الآخرين، ولا أحب أن يعرفوا شيئا عني، خاصة في الحيز الذي أعمل فيه، وأرغب أن تظل علاقاتي مع الزملاء مهنية ومبنية على الاحترام المتبادل، وكامرأة من الشرق الجزائري تربت على ثقافة محافظة إلى حد بعيد، متعصبة للأصول والتقاليد كنت دائما اصارع في نفسي هذا الموروث المتأصل، وبالفعل تمكنت بفضل القراءة والمعرفة من الانتصار على جانب، لكن أدركت كذلك أن مجتمعي لا يتسامح مع الحرية، وحتى مجتمعنا الجامعي الصغير نعتقده أكثر رقيا وتفهما فهو كما تعلم أكثر الأمكنة محافظة، رغم تظاهره بالتسامح والمعرفة، فهو يظهر ما لا يبطن، وأول من يسمح لنفسه بمحاكمتك على أبسط تصرفاتك، مثل: طريقة لبسك، وأسلوبك في التفكير، فهم مستعدون في كل ثانية على إدانتك بما ليس فيك، أو اتهامك بما أنت عاجز عن القيام به، أو التشنيع بك، والتحريض عليك، وفي الخفاء يحدث الابتزاز... كل هذا في سبيل أن أقبل بأن أكون عشيقة هذا المدير، أو ذاك الأستاذ... وبما أنني متعودة على ثقافة الاختفاء منذ الصغر فتلك هي تربية المرأة في مجتمعنا، تتعلم كيف لا تقول إلا ما يعجب الذكور، وهكذا تمكنت بدوري من صنع واجهة للآخرين، وتركت أموري الداخلية لنفسي، قد تتساءل لماذا أخبرك بذلك؟ أنت من دون الآخرين، والحق أن هذا يعود لسبب بسيط أنك كنت زميلا مثاليا في الفترة التي عملنا فيها معا بجامعة الجزائر العاصمة، لقد تحدثت كثيرا معك لأعرفك، لم أشعر يوما أنك تشبه الزملاء الآخرين، لا في طريقة كلامك، ولا في تصرفاتك، كنت مثالا حقا لذلك الذي يحترم رأي الآخر وخاصة إذا كان هذا الآخر امرأة فكأنك فجأة تصبح أقل دفاعا عن قناعاتك، وتترك المرأة تعبر عن موقفها بشكل مثالي (مفتي، 2019، الصفحات 110-111-112)من بين الكثير من الموضوعات المختلفة ان خطاب سميرة قطاش واضح هدفه، فهي تحور الحديث من الأوضاع الاجتماعية والثقافية التي تعيشها الجزائر في هذه الحقبة مباشرة إلى موضوعها الأساسي وهو وصف وتعداد صفاتها كأنثى تعاني حقا من تبعية العادات والاقاليد التي تلزمها من منظور رؤيتها كامرأة بالغة أن تحتشم وتلتزم الحدود، على الرغم من كل تلك التجاوزات والتعسفات التي تعانيها حتى وسط الطبقة الجامعية، من كلام شنيع عنها ومن طمع الزملاء والمدراء فيها وإلا سيحطمونها لا محالة، هي نظرة جنسية جد سلبية تحاول معالجتها وتخفيف وطأة ألمها عليها بتحويل الحديث الجنسي هذا كل وإسقاطه على تلك التجربة الجسدية الوحيدة، والتي حقا جعلتها تحس بشعور الرضى في العملية الجنسية أي تلك العلاقة العابرة التي كانت بينها وبين الأستاذ الذي تراسله الآن (صادق السعيد) الذي تستطرد الكلام عنه على نحو ما تبوح به كلماتها المباشرة والغير مباشرة قائلة:

البعض ربما يعيب عليك أنك تتصرف بمثل هذا التواضع مع الطالبات أو الزميلات والبعض الآخر يثير حولك العديد من الشائعات، من أنك شيوعي مثلا، أو أن نظرتك مادية للمرأة والحياة، أو أنك تخفي داخلك شيطانا لعينا يغوي الفتيات بطريقة خبيثة لطالما سمعت عنك حكايات كثيرة، كنت أضحك من غالبيتها، لأنه كان يكفي من يحاول الإساءة لك بتلك القصص المختلفة أن يجلس إليك قليلا ويناقشك في أي موضوع حتى يفهم أنك لست على تلك الصورة التي يريد أن يلصقها بك، أما كونك شيوعا، أو غير شيوعي؛ فهي أمور تخصك لوحدك، وإن كنت أظن أنك تجاوزت هذه التصنيفات؛ لأنك لم تكلمني يوما بلغة أيديولوجية، كان كلامك منطقيا وعقلانيا وساحرا ! نعم؛ ساحرا لأنك كنت تطرزه بأبيات من الشعر العربي القديم، أو الحديث، ومرات بشعر فرنسي أو ألماني وكنت دائما تحثني على القراءة وتقول لي: (هي الطريق نحو الحرية الكاملة والحقيقة...) لقد كنت أحترم فيك كل هذه الأشياء، وسأخبرك بسر، لو لم أكن أعرف قصة حبك لسارة حمادي لما ترددت لحظة من مغازلتك مباشرة (مفتي، 2019، صفحة 112) مربض الفرس هنا في زاوية الجنس والحب الخاصة بسميرة قطاش والصادق السعيد وإننا نلاحظ بداية دخولها في صلب الموضوع، وحتى وهي تكتب هذه الرسالة لابد أن ما باحت به في هذه الأسطر وما ستبوح به بعدها وليد لحظة انفعالية ساستها تلك المشاعر والتيارات اللاشعورية والتي تنبري عن حبها وعطشها الجسدي لهذا الأستاذ الذي يمكن أن نعده مفتاح مستودع رواسبها النفسية المكبوتة التي تعبر عن بصمتها الوراثية والوجودية الاصلية، فالحب جواب على مشكلة الوجود الإنساني، وإن اية نظرية عن الحب يجب أن تبدأ بنظرية عن الانسان، بنظرية عن الوجود الإنساني، فعلى حين أننا نجد الحب أو بالأحرى نجد المكافئ للحب نجد أن الارتباطات عن الحيوانات ليست أساسا سوى جزء من شحنتها الفرزية، ولا نجد إلا بقايا لهذه الشحنة الفرزية هي التي تستطيع أن ترى وهي تعمل في الانسان. وما هو جوهري في وجود الانسان هو أنه قد تفلت من المملكة الحيوانية، من التكيف الغرزي، لقد تجاوز الطبيعة -بالرغم من أنه لم يتركها اطلاقا، إنه جزء منها- ومع ذلك لما كان قد ابتعد عن الطبيعة فانه لا يستطيع أن يعود إليها، ولما كان قد طرد ذات يوم من الفردوس- وهي حالة من حالات التوحد الأصيل مع الطبيعة- فإن الملائكة المزودة بالسيوف المشتعلة ستسد عليه طريقه إذا فكر في العودة. لا يستطيع الانسان أن يتقدم إلا بتطوير عقله وباكتشاف تناغم جديد، تناغم انساني، بدلا من التناغم السابق على الإنسانية الطي فقده والذي لا يمكن استرداده. وعندما يولد الانسان، الجنس البشري وكذلك الفرد، فإنه يخرج من حالة تكون محدودة محدودبة الغرائز إلى حالة غير محدودة وغير يقينية ومفتوحة. ولا يوجد يقين إلا عن الماضي- وعن المستقبل هذا اليقين يقين(فروم، 2000، صفحة 19) ويقين سميرة قطاش بماضيها الذي يتجذر من أصول تقليدية شرقية كما صرحت قبلا، لابد وأنه قد زرع فيها نوعا من الهروب الواقعي، وكأن عالمها الجديد عالم الجامعة المنفتح والذي عرفت فيه حدوث عدة تجاوزات قد مست الطابوهات الثلاثة المحرمة، ولنصرح أن حدود الثقافة الجنسية والتعامل بها -على حسب كلام سميرة قطاش- قد فاق حدود التقبل والاحتشام في دائرة هذا العالم المثقف، أكيد وطبعا ليس كله لأننا نؤمن بواقع أنه كل إناء بما فيه ينضح ولكن السوداوية التي تحملها رسالة هذه الأستاذة إلى (الصادق السعيد) لم تستطع الهرب منها ومداواتها إلى عن طريق رؤيتها الخاصة لهذا الرجل الذي يمثل لها الحب كحب حتى وإن كان ملبسا بنوازع ليبيدية غريزية.

4. خاتمة:

خلاصة القول فيما تم طرحه من أفكاره في هذه الورقة البحثية هو:

• إن الرواية فن سردي استطاع أن يبث الروائي من خلاله ويطرح تلك الأفكار والثغرات الموجودة في المجتمع ويعبر عنها بطريقة اسقاطية من خلال شخصياته الورقية.

• طرح الروائي "بشير مفتي من خلال روايته "اختلاط المواسم" العديد من الميولات النفسية والجنسية الجديدة على عالم السرد الجزائري، منها السادية في القتل وفكرة التطهير الوجداني وعبثية الجنس.

• تحمل شخصية الرواية الأساسية "القاتل" عدة قضايا وأطياف سيكولوجية مفادها الشذوذ الفكري والتصدع الجنسي والهوياتي؛ حيث تظهر هذه الشخصية بفلسفتها العبثية الخاصة مترامية بين أطراف معادلة الجنس وعقدة أوديب التي أساسها والدته التي كان يكرهها منذ طفولته.

• ثنائية السادية/المازوخية متواترة بشكل طاغي ضمن مشاهد الرواية؛ذلك لما تعيشه الشخصيات الرئيسية من تقلب شعوري وغير شعوري، نظرا للواقع وتأثير البيئة والحقبة الزمنية على مسار حياتهما.

5. قائمة المراجع:

- ابراهيم محمد. (2002). *الشبق المحرم أنطولوجيا النصوص الممنوعة*. رياض الريس للكتب والنشر.
- ألبرتو بيفيلاكوا. (1998). *إيروس* (الإصدار 1). (شارل شهوان، المترجمون) بيروت- لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.
- البشاوي، ي .(2014) .*أزمة الإنسان في الأدب المعاصر* .(éd. 1)عمان: دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع.
- الكبير الداديسي. (2017). *أزمة الجنس في الرواية العربية-نون النسوة-* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ايريك فروم. (2000). *فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)*. (عبد المنعم مجاهد، المترجمون) بيروت: دار العودة.
- بول فريشاور. (1999). *الجنس في العالم القديم* (الإصدار 1). (فائق دحدوح، المترجمون) مطابع جوهر الشام.
- جمانة حداد. (2015). *الجنس الثالث*. لبنان: دار نوفل.
- جورج طرابيشي. (1997). *شرق وغرب- رجولة وأنوثة-* (الإصدار 4). بيروت: نادي الطليعة للطباعة والنشر.
- سلمان الشويلي الشويلي. (2017). *الجنس في الرواية العراقية* (الإصدار 1). العراق: دار المتن.
- كوستي بندلي. (بلا تاريخ). *الجنس ومعناه الانساني* (الإصدار 4). منشورات النور.
- مفتي، ب .(2019) .*اختلاط المواسم* .(éd. 1)بيروت: منشورات ضفاف.
- هاستنغز دونان، و فيونا ماغوان. (2017). *أنثروبولوجيا الجنس* (الإصدار 1). بيروت-لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- هيثم سرحان. (2010). *خطاب الجنس مقاربات في الأدب العربي القديم* (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- يوسف مراد. (2020). *سيكولوجية الجنس*. مؤسسة هنداوي.